المحاضرة الرابعة: المنهج العقلي عند رينيه ديكارت

رينيه ديكارت (1650 – 1596) هو فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم. وديكارت هو صاحب المقولة الشهيرة" :أنا أفكر، إذن أنا موجود ."في كتاب تاريخ الفلسفة الحديثة قام **"ويليم كيلي رايت"** بوصف منهج ديكارت الفلسفي. فيقول بداية بأن لمنهج ديكارت أربع قواعد أساسية، ذُكرت في الجزء الثاني من كتاب (مقال عن المنهج)، وهي:

1- هى قاعدة البداهة واليقين. وفيها يقول ديكارت أنه لا يقبل شيئا على أنه حق، ما لم يعرفه بالبداهة أنه كذلك، معنى أن يتجنب التعجل في الحكم والأخذ بالأحكام السابقة كذلك، فلن ندخل في أحكامنا، إلا ما بدا له العقل في وضوح وتميز يزول معهما كل شك، فلا أقبل شيئًا على أنه حق، ما لم أعرف بوضوح أنه كذلك، أي يجب أن أتجنب التسرع وألا أتشبث بالأحكام السابقة، وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميز يزول معهما كل شك."وإذا أردنا أن نحلل هذه القاعدة، لتبين لنا ما يلى:

أ- انها تدعو الى استقلال العقل بعيدا عن كل سلطة يمكن ان تفرض احكامها عليه بصورة مسبقة.

ب- ان العقل يهتدى الى الحقيقة بالبداهة اى بالحدس العقل يهتدى الى الحقيقة بالبداهة اى بالحدس العقلى او بذور العقل الفطرى والطبيعى وكما ان اللبصر قد خلق لرؤية الاشياء، فكذلك العقل قد جمل على المباشرة للحقيقة.

ج- ان القين هو معيار الحقيقة، وهو ضد الشك والمعرفة اليقينية هى التى نطلق عليها اسم العلم. اما المعرفة الاحتيالية، فلا يمكن ان نسميها علما، لانه يمكن الشك فيها.ز هذا اليقين المطلق الذى يريدة ديكارت والذى لا يمكن ان يتطرف اليه الشك، يماثل يقين الرياضيات انه ايضا المطلب الاساسى للعقل فى البحث عن الحقيقة

د- لا يكفى ان نوقن بالفكره التى ندركها بالبداهة بل يجل ان تكون ايضا هذه الفكرة واضحة ومتميزة. اما الوضوح الذذى يعينه ديكارت، فهو وضوح مضمون الفكرة بحيث لا تكون غامضة ومبهمة. كذلك فان المضمون التميز يخص فكرة واحدة، ولا يخص فكرتين فى وقت واحد. والا لتباس فى المعنى والمفهوم، هو ضد التميز الذى يريده ديكارت فى الافكار. نقول ايضا، ان الوضى والتميز لا يظهران الا، للعقل الواعى المنتبه.

ه- يجب ان نتجنب التسرع فى الحكم، لان ذلك سوف يوقعنا فى الخطا حتما. ومهما كانت الغاية الطبه فى البحث عن الحقيقة،ن فان التسرع سوف بيعدنا عن هذه الغاية.

2 أن أقسم كل واحدة من المشكلات التي أبحثها إلى أجزاء كثيرة بقدر المستطاع، وبمقدار ما يبدو ضروريًا لحلها على أحسن الوجوه."-

تضج هذه القاعدة بتحليل وتقسيم المشكلات بقدر ما نستطيع وبقدر ما تسمح به طبيعة كل مشكلة لحلها على افضل وجه. يقول ديكارت " نقسم كل مشكل من المشكلات التى نبحثها بقدما ما نستطيع الى ذلك سبيلا، وبمقدار ما تدعو الحاجة الى حلها على احسن وجه "

ان القسمة والتحليل هنا، ليس الغرض منهما تفتيت المشكلة، وحل كل جزء منها على وحدة فريما ضاعت منا المشكلة، بل الغرض الاساسى منهما، هو لالكشف عن، المجهول الذى نبحث عنه، من خلال المعلوم الذى نعرفة والحق ان كل الحقائق غير البسيطة لا تتكشف لنا الا من خلال التحليل.

لذلك فهو يشبه التحليل الرياضى، مثل حل مسالة هندسية او حسابية.. الخ بواسطة المبادى والنظريات التى تعرفها. وفى على الطبيعة، اذا اردنا تفسير ظاهرة مثل قوس قزح فنحن نفترض مجموعة من الاسباب ثم نفحص كل سبب منها على وحدة، حتى نصل الى الاسباب الحقيقية.

" .3أن أرتب أفكاري، فأبدأ بالأمور الأكثر بساطة وأيسرها معرفة، حتى أصل شيئًا فشيئًا، أو بالتدريج، إلى معرفة أكثرها تعقيدًا، مفترضًا ترتيبًا، حتى لو كان خياليًا، بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضًا."

هى قاعدة الترتيب او التركيب. وكان التحليل عند ديكارت هو فى الواقع، عملية تمهيد للتركيب " يجب ان ترتب افكارنا، فنبدا بابسطها،ن ثم نتدرج قليلا حتى نصل التى لا يسبق اكثر تعقيدا.ز وان نفترض ترتيبا بين الافكار التى لا يسبق بعضها البعض الاخر بالطبع

ان عملية ترتيب الافكار والقضايا، هى عملية بالغة الاهمية عند ديكارت. فهى تسير وفقا لضرورة عقلية لا وفقا لهوى الاشخاص من الخطا كل الخطا، ان نتخطى هذه الدرجات الضرورية بين القضايا، ان ان تصعدد السلم فى قفزة واحدة. ويبدو ان السلسلات الحبرية هى نموذج هذا الترتيب عنده. فهى تبدا دائما بالواحد اى بالوحدة البسيطة، ثم تتدرج بعد ذلك سلسلة الاعداد. وكل الاعداد مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا.

والترتيب اذا هو ترتيب تصاعدى يبدا من الحقيقة البسيطة او الطبائع البسيطة، ليصل الى الحقائق المركبه

" .4أن أعمل في جميع الأحوال من الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئًا."

هى قاعدة الاحصاء ونصها: ان اعمل فى جميع الاحوال من الاحصاءات الكامله والمراجعات العامة ما يجعلنى على ثقه من اننى لم اغفل شيئا له صله بالمشكله المروضه للبحث. هذه القاعدة تدعونا الى التاكد من اننا فى عمليه التركيب لم نغفل اى جزء من اجزاء المشكله التى نريد حلها. انها عمليه استقراء نريد ان نتجنب فيها السهو والخطا

هذا هو المنهج الذى اراد ديكارت ان يكون منهجا للعلم والفسلفة. واهم ما يميزه انه منهج عقلى بحت، يبدا بالبداهة واليقينن. هولا يفرض قيودا على العقل، بل يجعله مستقلا، حرا، ينطلق وراء الحققة بينما كان منطق أرسطو جامدا , لا يسمح بالتقدم الفكرى والخروج عن المقدمين , ولقد قال ديكارت: إن أكثر ما يرضينى هو أننى استعملت المنهج العقلى , إن لم يكن على وجه كامل فعلى الأقل , على أفضل وجه ممكن

يعقب بعد ذلك (ويليم كيلي رايت) بأن طريقة ديكارت الفلسفية تتشابه مع الإجراءات المتبعة في حل المشكلات الرياضية. ثم يشرح ذلك بطريقة أكبر قائلًا:

" إن قبول شيء على أنه حق من عدمه، بالنسبة لـديكارت، يعني أن القضية يجب أن تكون واضحة CLEAR بالكامل، ومتميزة DISTINCT أيضًا في تفصيلاتها وعلاقاتها .ويفهم العقل القضايا الواضحة والمتميزة بالطريقة الحدسية، مثلما يفهم بديهيات الهندسة، مثلًا، إذ لا شيء تدركه الحواس بصورة مباشرة يكون واضحًا ومتميزًا بهذه الطريقة، **فالحدس، وليس الإحساس، هو المصدر الأول للمعرفة.**

أما عن الأفكار وفطريتها، فيقول:

ولما كانت الأفكار الواضحة والمتميزة التي تقوم عليها كل معرفة يقينية، لا يتم التوصل إليها عن طريق الملاحظة الحسية، فإن مصدرها لابد أن يوجد في الأفكار الفطرية. [...] إن الأفكار الفطرية عند **ديكارت** لا تكون في العقل منذ الميلاد، ولكنها" *تكون فطرية بالمعنى الذي نقول فيه أن الكرم فطري في عائلات معينة، بينما تكون أمراض معينة مثل النقرس والحصبة فطرية في عائلات أخرى* [...] ."ولا يقدم ديكارت قائمة بالأفكار التي يُنظر إليها على أنها فطرية. فهي تتضمن بصورة واضحة بديهيات الرياضيات، وقوانين الفكر، وقضايا أخرى ينظر إليها على أنها واضحة بذاتها؛ مثل الفكرة التي تقول إن العلة يجب أن تمتلك من الحقيقة الواقعية أكثر من معلولها، ومثل يقين المرء بوجوده الخاص.

ثم يقول عن مصدر الخطأ في أحكامنا وطرقنا في البرهنة:

وينشأ الخطأ في نظر ديكارت من الإرادة .فالفكرة أيًا كانت لا تكون صادقة أو كاذبة حتى يتم إصدار حكم عليها [...] ومن ثم إذا حصرنا أحكامنا فيما هو واضح ومتميز بصورة برهانية أو بصورة حسية، فإننا لا نقع مطلقًا في الخطأ. لكن إذا جرفتنا الانفعالات والأهواء أو أفكار غامضة، فسمحنا لإرادتنا أن تنتصر علينا ونصل إلى أحكام لا يكون لدينا عنها دليل كاف، فإننا نقع في الخطأ.

ثم يتطرق إلى الشك في فكر ديكارت ، فيقول:

وذلك ما فعله ديكارت بطريقة بارعة، إذ أنه شرع في الشك في كل شيء يمكن الشك فيه، لكي يكتشف ما هو على يقين منه بصورة مطلقة ؛ لأنه لا يستطيع أن يشك فيه دون أن يفترض وجوده وهذا هو مذهبة الشكي الأول أو المنهجي، كما يطلق عليه أحيانًا، أي أنه نوع خالص من الإجراء ؛ وهذا يعني أن ديكارت لم يكن في الواقع شاكًا. لقد وجد أن الحواس يمكن أن تخدع المرء باستمرار، ولذلك فمن الأفضل عدم الثقة بها. [...] ولذلك وجد ديكارت أنه من الممكن نظريًا الشك في شهادة حواسه، وذاكرته، وأفكاره، ووجود العالم الخارجي، وحتى في صدق

الرياضيات. ومع ذلك فقد وجد شيئًا لا يمكن الشك فيه، وهو واقعة وجوده الخاص'' :*أنا أفكر، إذًا أنا موجود*.''